حافظ الأسد: مأزق.. بلا مخرج!

عبد العظيم حماد

حافظ الأسد

تحقيق

الجديد هذه المرة فى الصراع الدائر حاليا فى سوريا هو دخول الشعب السورى طرفا رئيسيا فيه . بعد غيبة طويلة . فالأمر اذن لم يعد مجرد صراع على السلطة بين الأجنحة المتنافسة فى حزب البعث . أو بين المجموعات المتنافرة من ضباط الجيش ذوى الطموح السياسى . كما كان الحال خلال أغلب سنوات العقدين الماضيين .

هذه هى أول نتيجة يخرج بها المراقب لمجريات الأمور على الساحة السورية منذ عام على الأقل .

والواقع أن جميع ملامح الثورة الشعبية المتوافرة فيما يحدث حاليا فى سوريا رغم ادعاءات النظام المتوالية والمحمومة بأن جهات أجنبية هى التى تحرك قوى المعارضة . من ذلك انتشار مظاهر المعارضة العنيفة فى جميع المدن السورية الكبرى مثل الاغتيالات السياسية والاشتباكات المسلحة مع قوات الأمن الحكومية . ومحاولات الثائرين السيطرة على هذه المدينة أو تلك . فضلا عن المظاهرات والاضرابات التى وقعت مؤخرا فى حلب وحماة وحمص . ودير الزور . بل فى دمشق نفسها . وقبلها فى اللاذقية وبانياس .

كذلك فإن ردود فعل النظام التى وصلت إلى حد محاصرة حلب وحماة بإحدى الفرق المدرعة فى الجيش السورى – مرورا باطلاق يد قوى الأمن الشرسة وسرايا الدفاع التى يترأسها رفعت الأسد شقيق الرئيس السورى حافظ الأسد فى تعقب المعارضين وإجبار أو ، إغراء ، المنظمات الشعبية التابعة لحزب البعث على تسليح أعضائها لخوض الحرب ضد المعارضين – كل ذلك يؤكد أن المسألة أوسع نطاقا بكثير من أن تكون محاولات فردية أو محاولات تبذلها أقلية سياسية بغرد الاحتجاج على النظام أو اضطراره إلى تعديل سياسته

ونصف التقارير القليلة التى تخرج من سوريا الحالة النفسية السائدة فيها بأنها أقرب شىء إلى مزاج الحرب الأهلية .

أما دلالة هذه الشواهد كلها فهى أن نظام الرئيس حافظ الأسد قد فقد فى نظر الشعب السورى كل مبرر لاستمرار وجوده .

ولكن تلك هى الخصلة النهائية لتحليل الأوضاع الحالية فى سوريا . وعلينا الآن أن نتابع قصة حافظ الأسد مع الشعب السورى منذ بدايتها . لنعرف كيف وماذا كان ذلك هو التفسير الوحيد والصحيح للأزمة الخانقة التى يرزح تحتها نظام الأسد ؟

المفارقة الكبرى

لفهم كثير مما جرى ويجرى فى سوريا عموما لابد من التسليم أولا بحقيقتين تشكلان فى تفاعلهما معا الإطار العام للحياة السياسية فى سوريا :

١ – انفراد حزب البعث بالسلطة ليس تعبيرا عن قوته الحقيقية بين صفوف الشعب السورى . وفى أحسن الحالات لم تكن نسبة المؤيدين له من بين جماهير الناخبين فى سوريا تزيد على ٢٥ ٪ . كما تدل على ذلك آخر انتخابات برلمانية حرة جرت قبل الوحدة مع مصر وقبل أن يتردى الحزب فى أى من أحطائه وخطاياه الكبرى أثناء الوحدة وبعد انفراده بالسلطة . وتعود سيطرة حزب البعث على الحياة السياسية فى سوريا منذ عام ١٩٦٣ إلى العلاقة المعقدة والمتداخلة بينه وبين الجيش . وهى علاقة أقل ما يقال فيها إنها أسفرت دائما عن تولى أقوى الأجنحة فى الجيش السلطة فى دمشق وراء لافتة البعث .

٢ – عوامل الصراع فى السياسة السورية أقوى كثيرا من عوامل الاستقرار . وتعود عوامل الصراع تلك إلى أسباب إقليمية وطائفية وإلى أسباب تتعلق بطبيعة التكوين النفسى للشعب السورى . فمن الناحية الإقليمية لا تزال روح التنافس بين المدن والأقاليم الكبرى فى سوريا سائدة . ومن الناحية الطائفية فإن هناك تقاليد عميقة الجذور فى التاريخ السورى للصراعات بين الطوائف العديدة وقد ارتبطت هذه التقاليد بالظاهرة الإقليمية . حيث تتوافر خاصية التركز السكانى لكل طائفة فى إقليم معين يستغلها الاستعمار الفرنسى مثلا فى محاولة تقسيم سوريا (قبل الاستقلال) إلى أربع دويلات .

والشعب السورى تغلب على أبنائه النزعة الفردية وروح المغامرة . وهما من سمات المجتمع الذى يفضل التجارة على سائر أوجه النشاط الاقتصادى . وهاتان السمتان تنتج عنهما درجة عليا من الطموح على مستوى القادة والزعماء وعلى مستوى الفئات المتنافسة .

لذلك اعتبر استمرار الرئيس حافظ الأسد فى السلطة لمدة ١٠ سنوات كاملة فترة قياسية من الاستقرار السياسى فى سوريا فى نظر المراقبين .

وبطبيعة الحال كان لهذه الظاهرة أسبابها الموضوعية . تماما مثلما كان للوضع الحالى أسبابه الموضوعية . وهنا تظهر المفارقة الكبرى فى قصة الأسد مع الشعب السورى .

فلقد تولى حافظ الأسد السلطة فى دمشق بعد صراع طويل مع « الجناح اليسارى » للبعث بزعامة اللواء صلاح جديد . ومن المعروف أن الأسد كان أحد أقطاب التحالف الذى أطاح بنظام الفريق أمين الحافظ عام ١٩٦٦ تحت زعامة جديد نفسه . وأيا كانت الأسباب الحقيقية وراء الخلاف بين مجموعة الأسد وبين مجموعة جديد . فإن السياسة التى طبقها الأول فى السنوات الأولى من حكمه أظهرت فعلا أنه يتبنى مفاهيم مغايرة لمفاهيم جديد وحلفائه مثل الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورية السابق ويوسف زعين رئيس وزرائه وإبراهيم ماخوس وزير خارجية ذلك العهد . وذلك على الرغم من أن الأسد كان زميلا جديد فى اللجنة العسكرية التى تشكلت من عدد من كبار ضباط الجيش السورى عقب الانفصال عن مصر . وهى اللجنة التى ساهمت بالنصيب الأكبر فى انفراد حزب البعث بالسلطة عام ١٩٦٣ . وبالرغم أيضا من أن « جديد » نفسه ينتمى إلى الطائفة العلوية التى ينتمى إليها الأسد وأغلبية أعضاء اللجنة العسكرية .

على أية حال فقد استطاع حافظ الأسد فى ◀◀

السنوات الأولى من حكمه ان يبدى قدرا معقولا من الاستجابة للحد الأدنى من أمانى الشعب السورى .

ففيما يتعلق بقضية الديمقراطية ، ورغم ان نظاما كنظام البعث لا يمكن – وفقا لطبيعته – أن يسمح بالديمقراطية الحقة ، فإن الأسد أحدث سلسلة من التغييرات التى يمكن أن تعتبر ملائمة بالقياس إلى من سبقوه من حكام البعث ، فألغى كثيرا من القيود السياسية والاقتصادية المفروضة على المواطنين ، ونبى سياسة أكثر انفتاحا على بعض القوى السياسية الأخرى فتكونت الجبهة الوطنية التقدمية من البعث والشيوعيين والناصريين والاشتراكيين العرب ، وعهد إلى ممثلى هذه القوى ببعض المناصب الوزارية .

وراح الأسد من ناحية أخرى يحاول إضفاء الشرعية على نظامه ولو شكلا ، ولأن المسائل نسبية فإن هذا يعتبر تقدما لأن مسألة الشرعية لم تكن تشغل بال الزعماء البعثيين الذين تواثروا على حكم سوريا قبل الأسد ولو حتى من الناحية الشكلية ، فأجرى استفتاء على رئاسته للجمهورية ، وأنشأ برلمانا وإن كان قد تكون عن طريق التعيين لأن التعيين هنا اعتبر إجراء مؤقتا ، كذلك سمح الأسد بإجراء أول انتخابات محلية منذ الوحدة مع مصر ، وفضلا عن كل ذلك أصدر دستورا دائما عام ١٩٧٣ ، وبذلك أبعد النظام عن نفسه صفة « الوضع الاستثنائى » التى كانت تميز النظم البعثية السابقة .

وفى الميدان الخارجى نجح الأسد فى السنوات الأولى من حكمه فى كسر طوق العزلة العربية والدولية الذى كاد يخنق سوريا على يد صلاح جديد ومحمودعه ، فقضى فى توثيق علاقات سوريا مع مصر والسعودية على وجه الخصوص ، ولابد من التنويه هنا بأن الأسد كان أول بعثى يكتشف ثقة مصر بعد تجربتها الأليمة مع كل من ميشيل عفلق وصلاح البيطار (مؤسسى البعث) وأمين الحافظ وصلاح جديد ، وكانت هذه الثقة سبيله إلى كسب ثقة الملك فيصل ملك السعودية الراحل ، وقد كانت هذه الثقة أمرا لابد منه لكى يقتنع الشعب السورى بأن حكومته جادة فى قضية تحرير الأرض المحتلة ، لاسيما أن السوريين كانوا قد فقدوا الثقة فى قدرة نظام صلاح جديد فضلا عن جديته ، على مواجهته التحدى الإسرائيلى بسبب عزلته العربية الناجمة عن سياساته المتخبطة ، وإصراره غير المفهوم على إعطاء الصراع المفتعل مع « الدول العربية المحافظة » أولوية على الصراع بين العرب جميعا وبين إسرائيل ، وبسبب الثقة المفقودة بينه وبين مصر .

كذلك بدأ نظام البعث الجديد بقيادة الأسد يقبل علنا مبدأ التسوية السلمية مع إسرائيل بشرط عودة الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وإقامة دولة فلسطينية ، وكانت مصر قد قبلت ذلك المبدأ بقبولها للقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢

وكان موقف مجموعة صلاح جديد الرافض للجهود العربية والدولية لوضع إطار ملائم للتسوية السياسية فى الشرق الأوسط هو الذى عجل بنهايتها على يد الأسد ، ففضلا عن عدم واقعية مثل هذا الموقف فإنه كشف عجز النظام آنذاك عن متابعة نهج الحل العسكرى . أو نهج الحل السلمى ، الأمر الذى كان يعنى أن على هذا النظام أن يرحل ليحل محله نظام أكثر استجابة للظروف الموضوعية الجديدة بعد عام ١٩٦٧ لاسيما إذا أخذنا فى الاعتبار موقف النظام تجاه الدول العربية كما أشرنا ، وموقف الاتحاد السوفيتى المؤيد للقرار ٢٤٢ .

وفى الوقت نفسه كان الأسد أيضا يحاول بنجاح لا يستهان به تحسين علاقاته مع سائر الدول العربية – باستثناء العراق – ومع دول أوروبا الغربية بل والولايات المتحدة الأمريكية ذاتها .

وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتعطى النظام مزيدا من القوة ، لأنها فى محصلتها العامة كانت تعد انتصارا للجبهة العربية بفضل انتصار الجيش المصرى على جبهة القناة ، وأدت المتغيرات الهائلة والغزيرة التى صاحبت حرب أكتوبر وانتجت عنها إلى اقناع الشعب السورى بجدية وبأهلية نظام الأسد للتصدى لقضية تحرير الأرض .

لكل تلك الأسباب قلنا إن نظام الأسد بدا فى أوفى سنواته قادرا على الاستجابة بقدر معقول للحد الأدنى من أمانى الشعب السورى ،)كيف إذن ولماذا تحول هذا النظام نفسه لكى يصبح هدفا لثورة الشعب لأنه فقد المبرر السياسى لوجوده ، ولأنه استنفد أغراضه . بل لأنه أصبح الآن عبئا على حركة الشعب السورى نحو المستقبل ؟ .

الواقع أن نقطة البدء فى الإجابة على هذه التساؤلات هى أن أى نظام للحكم يحائل نظام الأسد فى منطلقاته السياسية والفكرية وفى جذوره الاجتماعية ليس مستعدا – فضلا عن أنه ليس قادرا – على السير فى طريق الديمقراطية والاستجابة لأمانى الشعب إلى نهايتها ، فالبعث الذى تفرد بالسلطة لا لشىء إلا لأن الجيش حول إلى جيش بعثى يستحيل عليه أن يقر فكرة الانتخابات الشعبية الحرة مثلا ، فى الوقت الذى لا ترضى فيه القوى الأخرى بغير السير إلى نهاية الشوط بديلا . والنظام الذى يعرف أن خصومه يتربصون به لأنه يتفرد بالسلطة دون وجه حق لابد أن يحرص على حماية نفسه ، وذلك لا يتأتى إلا بخلق أقلية من أصحاب المصالح المرتبطة بالنظام ، لابد أن يقع فى تناقض مع أغلبية الشعب ، وقد شاءت الظروف أن يرتبط بنظام الأسد الذى ينتمى إلى الطائفة العلوية بهذه الطائفة الغيضة لأغلبية الشعب السورى بسبب عقيدتها الدينية الخارجة على الإسلام فى نظر الأغلبية السنية ، فتفاعلت هذه العوامل مع العامل الطائفى عميق الجذور فى التاريخ السورى لكى تورث نظام الأسد أمراض النظم

صلاح جديد

امين الحافظ

السابقة عليه ، بالإضافة إلى الأمراض الأخرى التى ستعتريه .

وفى مقدمة تلك الأمراض الأخرى ، وهو ما يخترق فى ذات الوقت نتيجة للتناقض بين النظام والشعب ، سطوة أجهزة القمع العديدة فى غيبة سيادة القانون ، وفى ظل حالة الطوارىء المفروضة على البلاد منذ عام ١٩٦٧ ، وإلى جانب ذلك فالقائمة طويلة فهناك تفشى كافة صور الفساد والانتهازية بين رجال النظام على جميع المستويات ، وهذه نتيجة طبيعية لتضخم نفوذ حماة النظام من أصحاب الامتيازات السياسية دون خوف من رقابة شعبية أو صحافة حرة أو إعمال للقانون ، ويجىء دور اسم رفعت الأسد شقيق الرئيس على رأس قائمة المباشرة والمرتشين ومستغل النفوذ لكى يشكك فى نزاهة الرئيس نفسه .

أما على صعيد حركة النظام على جبهة تحقيق الأمانى الوطنية والقومية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ أو بالأحرى بعد الاتفاقيات فض الاشتباك ، فإن النظام قد أصيب بحالة من الشلل التام أعادت إلى الأذهان موقف نظام صلاح جديد من تلك القضية ، الأمر الذى أسفر – بالإضافة إلى العوامل السابقة – عن إقناع الشعب السورى بعدم أهلية النظام لقيادته فى هذه المرحلة ، أما عوامل ومظاهر حالة الشلل هذه فهى باختصار :

● الدور المشبوه الذى لعبته السياسة السورية فى لبنان ، وفى واقع الأمر فإن تخبط تلك السياسة قد أصاب السوريين أنفسهم بالحيرة ، ويزداد الأمر الفاء هذا الدور على النظام بالنظر لحقائق ثلاث : هى الحرب الوحشية التى شنها الجيش السورى ضد الفلسطينيين لصالح الماروئين الحلفاء التاريخيين للطائفة العلوية دون أن تنجح سوريا فى نهاية المطاف فى كسب ثقة أى من الفرقاء اللبنانيين ، وعدم وضوح الكيفية التى يمكن أن تخرج بها سوريا من المستنقع اللبنانى ، وأخيرا اكتشاف عجز النظام عن مواجهة إسرائيل فى لبنان ، بل تهربه من هذه المواجهة كلما أمعنت إسرائيل فى إهانته .

● الفشل الذريع الذى منيت به سياسة النظام العربية بعد انسلاخه عن مصر ، سواء فى مجال الوحدة الوثيدة مع العراق أو فى العلاقات مع الأردن أو السعودية التى شابها الفتور مؤخرا بسبب تأييدها الحق للمعارضة السنية لنظام الأسد ، وهاتان الدولتان هما أكثر الدول العربية – مع العراق ، قدرة على مساعدة السياسة السورية فى التأثير على مجريات الصراع العربى الإسرائيلى .

● التحدى الذى لم يستطع النظام حتى الآن اقناع أحد بالقدرة على مواجهته ، والناجم عن اتفاقيات كامب ديفيد لتسوية الصراع العربى الإسرائيلى تسوية سلمية ، فلأسباب كثيرة منها التراث البعثى الحافل بشعارات المزايدة السياسية ، والصراعات الكامنة داخل الحزب ، وارتباط بعض القوى البعثية بالرؤية السوفيتية ، والتخوف من منافسة الجناح الحاكم فى العراق ، اضطر الأسد إلى رفض مبادرة السلام المصرية ثم اتفاقيات كامب ديفيد التى أعقبتها .

ورغم الاجتماعات التوالية التى شارك فيها النظام على المستوى العربى ، ورغم الخطط التى أعلنت ثم ماتت بمجرد إعلانها ، ورغم أن الرئيس الأسد أقسم بنفسه على أن سوريا قادرة على خوض الحرب وحدها ضد إسرائيل ، فإن الشعب السورى يظل غير مقتنع بجدوى سياسة حكامه ، فها هى ذى سيناء تعود إلى مصر ، وها هى ذى مصر تسعى إلى استعادة الحقوق الفلسطينية – دون ادعاء بأن كامب ديفيد هى نهاية المطاف فى هذه النقطة بالذات – فى وقت تقف فيه سوريا عاجزة بسبب سياسة الأسد عن متابعة الحل السلمى فضلا عن عجزها أصلا عن متابعة الحل العسكرى .

وهناك أسباب كثيرة يدركها الشعب السورى وراء عجز النظام السورى بغير مصر عن مواجهة إسرائيل فى ميدان القتال لاستعادة الجولان والضفة الغربية وغزة ، أولها وأقواها دلالة تهرب

الاتحاد السوفيتى من إعلان التزامه . بتحقيق التوازن فى التسلح بين سوريا وإسرائيل . ولا نقول تفوق سوريا على إسرائيل .

قوى المعارضة

فى مواجهة تلك الحقائق التى تضافرت جميعها فأفقدت النظام مبرر وجوده فى عين المواطن السورى كان لابد لقوى المعارضة الكثيرة أن تتحرك . ولما كان النظام قد بات لا يستمد أسباب وجوده إلا من تمثيله للأقلية العلوية المتحالفة مع المؤسسة العسكرية (الجيش) فقد كان من المحتم أن يتعدد خصومه . وأن يتنوعوا . ليشملوا أعظم قطاعات الشعب السورى . فالإخفاق فى تحقيق الديمقراطية . من شأنه تحفيز القوى التى لاتجد فرصة للتعبير الديمقراطى عن نفسها للمطالبة بالديمقراطية . ثم الثورة من أجلها كما أمعن النظام فى الديكتاتورية والضعف . والفساد والإثراء غير المشروع من شأنها تحريض القطاعات المحرومة لتنضم إلى المعارضات ذات الجذور السياسية التى تجد هى الأخرى فيها ما يدفعها إلى مزيد من الثورة . ثم إن الإرهاب بدوره يوفر صدور الجميع .

فإذا أضفنا إلى ذلك الأسباب الطائفية وجدنا أن أكثر من ٦٠ ٪ من الشعب السورى وهى الطائفة السنية التى تعتبر العلويين مارقين عن الإسلام . تمثل مصدرا خصبا للمعارضة .

أما التعبير السياسى عن كل تلك القوى المعارضة فهو يتمثل فى الأشكال والمنظمات الآتية :

١ – الإخوان المسلمون وحزب التحرير الإسلامى وجماعة شباب محمد . وهؤلاء يمثلون المعارضة السياسية ذات الأصل الدينى .

٢ – الجماعات الليبرالية . وتتمثل أساسا فى الفئات المهنية وتقود نقابة المحامين هذا القطاع من المعارضة فى المطالبة بالحريات الليبرالية مثل سيادة القانون . والغاء المحاكمات الاستثنائية وحرية الصحافة والانتخابات . مما أدى بالنظام إلى إصدار قرار بحلها . كما أن المعارضين القيمين فى الخارج يحاولون تشكيل جبهة للمعارضة .

٣ – المجموعات اليسارية التى تعتبر النظام وسيلة لإجهاض الثورة الإشتراكية . وعلى رأس هذه المجموعات الحزب الشيوعى المنشق عن حزب خالد بكداش بزعامة رياض ترك .

٤ – يضاف إلى ما سبق الجناح المعارض فى حزب البعث بزعامة صلاح جديد ويقيم معظم كوادره فى العراق .

النظام يتحرك

من الطبيعى أيضا أن يحاول النظام التحرك لامتصاص سخط الجماهير ليفوت الفرصة على تلك القوى حتى لا تستقطب غالبية أفراد الشعب . وإن كان سيظل عاجزا عن الاستجابة الكاملة للمطالب الشعبية . وفى الوقت نفسه

ميشيل عفلق

ابراهيم ماخوس

صلاح البيطار

يسعى النظام إلى تصفية القوى التى تقود المعارضة . أى أنه نظام الأسد يتبع أسلوب الترغيب والترهيب فى مواجهة خصومه . ومن امثلة الترغيب ما يلى :

١ – زيادة مرتبات موظفى الدولة مؤخرا بنسبة ٨٠ ٪ وزيادة مرتبات ضباط الجيش بنسبة ١٠٠ ٪ مستغلا فى ذلك المعونات الكبيرة التى يحصل عليها من الدول العربية .

٢ – زيادة حصص الاستيراد من الخارج بالنسبة للتجار . وهؤلاء لهم دور هام فى مجتمع المدينة السورية .

٣ – الوعد بالإفراج عن المسجونين السياسيين وإلغاء حالة الطوارىء .

٤ – الإيحاء بمكافحة الفساد عن طريق إبعاد بعض من تحوم حولهم الشبهات .

٥ – تغيير الحكومة وإجراء بعض التغييرات فى تشكيل القيادة القطرية لحزب البعث .

أما فى مجال الترهيب فقد اتخذ النظام الإجراءات الآتية :

١ – إطلاق يد قوى الأمن وسرايا الدفاع فى تعقب المعارضين دون هوادة ولو بالاستناد إلى مجرد الشبهة .

٢ – أحكام الإعدام التى تصدر وتنفذ بالجملة .

٣ – إجبار النقابات والاتحادات التابعة للحزب على تشكيل فرق مسلحة لمحاربة المعارضين .

٤ – التلويح باستخدام الجيش إذا استدعت الضرورة . وقد حاصرت إحدى فرق الجيش المدرعة مدينتى حلب وحماة فى إحدى المناسبات . على أن كل تلك الاجراءات لم تفلح فى وقف الثورة لأن جذورها منتشرة فى تربة المجتمع السورى كله .

سيظل نظام الرئيس الأسد عاجزا عن إثبات اهليته لقيادة سوريا . وبالتالى إفقاد الثورة الناشئة ضده مبرر نشوبها حتى يستطيع التحرك إيجابيا لإعادة الديمقراطية إلى سوريا ولاستعادة أراضيها المحتلة .

ولكن النظام بطبيعته يستحيل عليه كما قلنا ان يسير فى طريق الديمقراطية إلى نهايته . لأن الديمقراطية الحقة تعنى نهاية انفراد البعث بالسلطة . بل إنه لا يستطيع الوصول إلى منتصف الطريق وإلا خالف طبيعته وأصبح غير نفسه .

أما الخيبة التى يظن النظام أو يوحى أنه قادر على التحرك فيها فهى جبهة الصراع مع إسرائيل . ولكننا نسارع إلى القول بأن تحركه هنا لن يكون تحركا استراتيجيا بحيث يسفر عن تسوية المشكلة فعلا تسوية نهائية . ولكنه سيكون تحركا تكتيكيا يراد به إظهار النظام بمظهر الذى يفعل شيئا .

كذلك ليس من المنتظر كما سبق أن أشرنا ان يوافق السوفيت على توازن التسلح السورى بالتسلح الإسرائيلى حتى يتسنى لسوريا خوض حرب متعادلة الاحتمالات على الأقل مع إسرائيل . والأسباب عديدة . فى مقدمتها إقرار السوفيت بحق إسرائيل فى الوجود الذى قد تهدده هزيمة عسكرية ورفضهم مبدأ الحرب ضد إسرائيل منذ ما قبل حرب ١٩٧٣ نفسها ثم رغبتهم فى تجاهل مواجهة عسكرية مع الأمريكيين فى الشرق الأوسط دون مصلحة سوفيتية مباشرة . وخوفا من نتائجها على المستوى الدولى .

وإذن يبقى أمام حافظ الأسد عدد من البدائل المتكاملة ذات الطبيعة الشكلية هى على سبيل الحصر :

. تفجير الموقف فى لبنان ليتيح لنفسه فرصة الظهور من جديد بمظهر من يحفظ السلام

افتعال توتر مع إسرائيل على الا يصل الأمر إلى حد الحرب . وفى هذا السياق يدخل إعلان الرئيس الأسد السماح للفدائيين الفلسطينيين باستخدام الأراضى السورية ضد إسرائيل رغم تعهده فى اتفاق فض الاشتباك بعكس ذلك . ورغم أنه لا يسمح بمثل تلك النشاطات من الناحية الفعلية . والفلسطينيون هم أول من يعلم ذلك .

محاولة إحياء فكرة مؤتمر جنيف مستغلا فى ذلك دور بعض الدول العربية كالسعودية فى التأثير على دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة .

ومدعيا الفضل فى تعديل القرار ٢٤٢ إذا اتخذت الأطراف الدولية على تعديله . والنظام هنا فى الحقيقة يراهن على إمكان حدوث تغيير فى الموقف الأمريكى .

وفى المستقبل المنظور لا تبدو هناك نتائج يمكن أن تعيد للنظام الحالى فى سوريا جزءا من التأييد الشعبى . وعلى ذلك تبقى احتمالات سقوطه أقوى من احتمالات استمراره .

وهنا لابد أن يثور سؤال هام . هذا السؤال هو لماذا استمر نظام الأسد فى الحكم حتى الآن رغم كل ما ذكرنا ؟

الواقع ان إجابة هذا السؤال تكمن فى الإجابة على سؤال آخر : ما هو شكل التغيير المتوقع فى سوريا فى حالة حدوثه ؟ .

وللإجابة على السؤال الأخير هناك احتمالان : الأول أن يأتى التغيير من داخل حزب البعث . وفى هذه الحالة سيكون التغيير فى شكل تحرك قائد حربى يسانده كبار الضباط أو ضابط قوى تساعده كوادر الحزب للاستيلاء على السلطة وإبعاد الرئيس الأسد . أما الاحتمال الثانى فهو ظهور زعيم شعبى تتفق عليه قوى المعارضة يقود الثورة لإزاحة البعث نفسه من السلطة . وفى ضوء التاريخ الحديث لسوريا يبقى الاحتمال الأول أقرب من الاحتمال الثانى . ومبقى عدم وجود . المنافس القوى لحافظ الأسد هو سبب استمراره فى الحكم رغم عقم سياسته وعدم تعبيرها عن أمانى الشعب السورى .

ولكن هل يظهر قريبا زعيم يحل محل الأسد ؟ أو أن قوى المعارضة ستنجح فى تشكيل جبهة تضم بعض العسكريين (لخصية الدور العسكرى فى التغيير السياسى فى سوريا . خصوصا أن معظم دول العالم الثالث عمودها) للحلول محل نظام البعث برمته ؟ . . هذا السؤال سيظل معلقا إلى أن يجيب عليه المستقبل . أما الشىء الوحيد المؤكد الآن فهو أن النظام الحاكم حاليا فى دمشق قد نضج تماما للسقوط . وإن لم يسقط فإن الثورة ستأخذ شكل المرض العضال المزمن فى جسد نظام يحتضر ■